طفلة المناديل

– والله أنا بجري على أمي وأخويا الصغير بعد وفاة أبويا الله يرحمه، بس طالبة منكم مساعدة بسيطة.

– اشتروا مني علبة مناديل تنقذوا بيها عيلة صغيرة من التشريد. أنا مش شحاتة والله العظيم. أنا مجتهدة وبناكل لقمتنا بالحلال زي ما انتم شايفين كده.

تلك الكلمات رددتها طفلة لا يتعدى عمرها العشرة أعوام، صعدت من محطة حلوان باتجاه المرج، تبدو من وجهها ويديها، اللتين تحمل بإحداها شنطة «متسخة»صغيرة من القماش، والثانية تحمل بها ثلاث علب مناديل، وملابسها الرثة، أنها ربما باتت ليلتها في المحطة، أو داخل سيارة قديمة هنا أو هناك.

أثناء ترديد الفتاة لكلماتها، ناداها أربعيني أنيق يرتدي بدلة «كحلي» سادة، ويخفي عينيه بنظارة سوداء، فقال لها:

– تعالي يا بنتي، أنا هاشتري منك كل المناديل اللي معاك، لكن.....

تقاطعه الفتاة:

– الله يسترك يا بيه. صحيح هتشترى كل المناديل مني؟!

نهض الرجل واقفا بعد أن أزاح نظارته السوداء من على عينيه؛ ليكشف عن

كامل ملامحه، ثم ابتسم للطفلة ابتسامة تحمل كل معاني الطيبة والأبوة، بل وتنم عن معرفته الجيدة بها، فيقول:

- نعم يا ست البنات، لكن بشرط واحد يا «زينة».

نظرت الفتاة للرجل، فجأة تراجعت خطوتين للخلف، وبدا للركاب أنها تحاول الفرار من العربة بعد تأكدها أنها أمام مسئول الملجأ الذي هربت منه؛ لكنها تفشل.

المسئول يلاحقها، ويمسك بها، ويطمئنها:

- حبيبتي، ماتخافيش، بس عاوز أعرف سبب هروبك من الملجأ. ده أنا بقالي شهرين رايح جاي من الملجأ للنيابة؛ بسبب هروبك، ويا ريت تعرَّفيني مين اللي مشغَّلك شحاتة!

الركاب يتعاطفون مع الفتاة، ويحاولون تخليصها من يد مسئول الملجأ؛ حتى تذهب إلى حال سبيلها، وكادوا ينجحون بالفعل، لكن دهاء الرجل كان سباقا بعدما كشف لهم حقيقة هروب الطفلة من الملجأ الذي يتولى هو مسئوليته، فاعتذروا له، وحاولوا نصح الفتاة بالعودة إلى ملجئها إكراما لطفولتها من «البهدلة»، وإشفاقا على وضع المسئول أمام النيابة.

نوبة بكاء هستيرية تنتاب الطفلة، وأمام إصرار المسئول وعدد لا بأس به من الركاب على عودتها للملجأ، كشفت الطفلة عن عصابة من المجرمين، تخصصوا في خطف أطفال الملاجئ؛ لاستغلالهم في أعمال غير شرعية، ومنها التسول.

في محطة المعادي نزل المسئول وفي يده الفتاة باتجاه أمن المحطة لتحرير محضر بالواقعة، وما هي إلا لحظات حتى تواجدت سيدة خمسينية في ذات المكان، تشبه في ملامحها وإجرامها وجرأتها إلى حد بعيد، الفنانة القديرة نجمة أبراهيم في فيلم «ريا وسكينة».

حاولت هذه السيدة أن تختلق مشكلة مع مسئول الملجأ؛ لانتشال الفتاة من يده، وظلت تصرخ، وتستنجد بالركاب؛ ظنا بأنها ستنجح في خطتها، فقالت:

- بنتي، خطف بنتي، عاوزة بنتي، هاتوا لي بنتي من المجرم ده.

يتعاطف بعض الركاب في البداية مع «المُجرمة» التي أتقنت دورها التمثيلي أمامهم، وكادت تنجح في ذلك بالفعل، وتمسك بيد الطفلة لتهرب بها لولا حضور أمين شرطة وضابط شرطة برتبة ملازم أول وتدخلهما لاحتواء الموقف واصطحاب المسئول والطفلة إلى غرفة الأمن؛ لتحرير المحضر بالواقعة، فيما اختفت «المجرمة» بين الركاب، وهربت قبل أن يتم القبض عليها.

في غرفة الأمن تعترف الطفلة في محضر رسمي بأسماء وجرائم العصابة التي خطفتها من الملجأ.

ينتهي الموقف بتسليم الطفلة لمسئول الملجأ، بعد أن سردت قصة خطفها؛ لتبدأ دورة جديدة لرجال الأمن في التحري عن خاطفي الأطفال وإلقاء الضبط عليهم.. انتهى.